الميتافيرس وتحدي الحرية والحقيقة
قراءة تحليلية في نموذج الحرب الروسية الأوكرانية

The Metaverse and the challenge of freedom and truth
Analytical reading in the model of Russian-Ukrainian war

ليليا بوسجرة[1]، عبد القادر بودربالة[2]

[1] المدرسة العليا الوطنية للصحافة (بن عكنون-الجزائر)

[2] جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)

تاريخ الاستلام، 2022/06/14 ؛ تاريخ المراجعة، 2022/06/25 ؛ تاريخ القبول، 2022/06/26

ملخص:

يفرض توجه العالم نحو نظام عالمي جديد تتجسد معالمه ضمن الصراع الدائر بين عمالقة التكنولوجيا قراءة تحليلية لواقع المنصات الرقمية والتحديات التي تطرحها خصوصا مع توجه التكنولوجيا المستحدثة إلى تبني "الميتافيرس" كواقع عالمي جديد، ولنا أن نتساءل هنا عن: ماهية هذا الواقع الجديد والتحديات الحقوقية التي يطرحها خصوصا فيما يتعلق بحرية التعبير، هل سيعمل على تعزيز بحث الانسان اللامتناهي عن الحرية والحقيقة؟ أم سيعمل على دعم التزييف ونشر الأكاذيب؟ وما هي ملامح هذا النظام الجديد الذي يبدو أن المنصات هي من تكفل واقع أبعاده؟ هل سيكون متعدد الأقطاب؟ أم سيشهد سيطرة أحادية؟ وعليه نحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن هذه التساؤلات والخوض في هذه التحديات التي يطرحها "الميتافيرس" باعتباره شكلا متطورا للتقنيات الذكية والانترنت وذلك وفقا لنموذج الحرب الروسية الأوكرانية.

الكلمات المفتاحية:

الميتافيرس؛ الحرية؛ الحقيقة؛ الحرب الروسية الأوكرانية؛ قراءة تحليلية.

Abstract:

The orientation of the world within the ongoing conflict to a new world order imposes an analytical reading of the reality of digital platforms and the challenges they poses, especially with the trend of information and communication technology to adopt “Metaverse” as a new global reality, and we have to ask here: What is this new reality? What is the human rights challenges posed by freedom of expression, especially freedom of expression? Will it enhance the endless human search for the truth? Alternatively, will he support counterfeiting and spread lies? What is the shape of the global system of platforms that will ensure this new reality? Will it be multipolar? Or will it witness unilateral control? Accordingly, we try, through this research paper, to answer these questions and delve into these challenges posed by “Metaverse”, according to the model of the Russian- Ukrainian war.

Keywords:

Metaverse ; Freedom ; Truth ; Russain-Ukrainian war ; Analytical reading.

[1] ليليا بوسجرة.

تمهيد:

بات العالم اليوم وشيكا أكثر من أي وقت مضى من الانتقال إلى مرحلة الحياة الافتراضية الكاملة، تلك الحياة التي يطلق عليها، "الميتافيرس" فبدلا من أن تكون التفاعلات البشرية واقعية ومحسوسة عبر التلاقي المادي، أو أن تكون غير مادية وغير محسوسة عبر التلاقي الرقمي من خلال شاشات الهواتف الذكية وأجهزة الكمبيوتر واللوحات الرقمية، سيكون هناك طريق ثالث يسد الفجوة بين هاذين العالمين (الواقعي والرقمي)، ليظهر عالم ثالث افتراضي يأخذ من الواقع شيئا، ومن الإنترنت والتقنيات الذكية أشياء وخصائص أخرى، وبالتالي تثار تساؤلات من قبيل: ما هو شكل هذه الحياة الجديدة؟ وهل سينجح في إنشائها؟ وما هي حدود التمييز بينها وبين العالم الواقعي؟ وكيف ستؤثر على الإنسان؟ وهل ستشكل تحديا آخر أمام بحثه عن الحرية والحقيقة؟

يتجاوز "الميتافيرس" فكرة الواقع الافتراضي حيث يتطرق إلى دمج الواقع الفعلي بالواقع الافتراضي أين يصعب التفريق بينهما، وبالتالي فإن الجهة المسؤولة عن الواقع الافتراضي (شركات التقنيات الذكية والمنصات الرقمية) هي التي ستتحكم في واقع الأفراد بالكامل وتسيطر عليه، ومن ضمن المخاطر التي يحتوي عليها نظام "الميتافيرس" هي تقنيات تتبع حركة العين والوجه واليد والجسم بشكل عام والمعتمدة بشكل أساسي على الكاميرات، وأيضا المخططات المتعلقة بموجات وكهرباء المخ، وكل هذه البيانات تحتاج إلى نظام عام للتحكم فيها مثل التحكم في خدمة الإنترنت، وهذا النظام قد يحتوي على الكثير من المخاطر والتهديدات الحقوقية والأمنية.

بالرجوع قليلا إلى التحديات التي طرحتها المنصات الاجتماعية المختلفة خلال السنوات الأخيرة مثل: التعدي على الخصوصية، التسريبات، التجارة ببيانات المستخدمين، التزييف، الأخبار الكاذبة... بالإضافة إلى تحكم مالكي تلك المنصات في المحتوى المنشور بين الإبقاء أو الحذف أو إلغاء الحسابات كليا وهو ما حدث ولا يزال ضمن الصراع الفلسطيني ضد الكيان المحتل، أو حتى خلال الحرب الروسية الأوكرانية الدائرة منذ أشهر والتي شهدت سقطة كبيرة لكل المبادئ التي تغنى بها الغرب خلال السنوات الأخيرة حول مبدأ حرية التعبير والحق في الاعلام والبحث عن الحقيقة، حيث اتسم الخطاب عبر هذه المنصات بالطرح الواحد في صف الاتجاه الأوكراني في مقابل إلغاء الطرح الروسي بالحذف، وهو ما يحيلنا إلى استشراف مستوى التحديات المطروحة ضمن هذا الاتجاه عبر "الميتافيرس" وأبعاده الحقوقية، الأمنية، السياسية والاقتصادية.

I. مفهوم الميتافيرس:

يتجه العالم اليوم أكثر فأكثر نحو إزالة الحواجز بين العالم المادي والعالم الرقمي عبر توظيف التقدم الحاصل في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات سعيا منه لتحسين التفاعلات بين الانسان والآلة بدون أن يستبدل أحدهم الآخر، ومع توظيف التقنيات التي أنتجتها الثورة الصناعية الثالثة والرابعة من أجهزة الاعلام الآلي والانترنت، الذكاء الاصطناعي، الحوسبة السحابية، الواقع الافتراضي والواقع المعزز وانترنت الأشياء، وغيرها من التقنيات ذات الإمكانيات الهائلة.

ويعد "الميتافيرس" آخر ما توصلت أبحاث واكتشافات الدمج بين التقنيات المذكورة القديمة منها والحديثة، والذي أعلن عنه بشكل رسمي رجل الأعمال والمبرمج Mark Zuckerberg المؤسس والرئيس التنفيذي لشركة Facebook ومما جاء في حديثه بمناسبة إطلاق هذا المشروع هو تغيير اسم الشركة إلى Meta والعمل على بناء انترنت يوطد العلاقات الاجتماعية ويجسد التجارب ويجعل المستخدم عنصرا بداخلها، وليس مجرد مشاهد لها، حيث يمكن من خلال هذا العالم أن يلتقي أي شخص بشخص آخر في أي مكان يرغبان فيه داخل عالم "الميتافيرس" وقد يكون هذا العالم عبارة عن تجسيد افتراضي لعالمنا المادي الحقيقي بكل معالمه وخصائصه أو عالم افتراضي بالكامل بمعالم وخصائص جديدة[1].

يمكن للأفراد داخل هذا العالم الجديد فعل أي شيء يمكن تخيله حتى الآن، كالاجتماع مع العائلة أو الأصدقاء، العمل أو التعلم، اللعب، التسوق ... الخ، وبأكثر توضيح فإن الهدف من عالم "الميتافيرس" هو أن يشعر المستخدم بتواجده حقا مع شخص آخر، والتنقل الافتراضي الفوري كمجسم إلى أي مكان يرغبه دون التحرك من مكانه في العالم المادي الحقيقي وسيكون الاتجاه الأبرز لنشاط شركات التكنولوجيا في الفترة القادمة هو عملية التطوير لتجديد الحياة ونسج هذا العالم مع المنصات الاجتماعية للحصول على تجارب اجتماعية جديدة [2].

يعود مصطلح "الميتافيرس-Metaverse" إلى رواية الخيال العلمي[3] Snow Crash التي صدرت سنة 1992 للكاتب Neal Town Stephenson والتي صاغ عبرها مصطلح "Metaverse"، وقسمت الموسوعة الحرة ويكيبيديا [4] مصطلح "ميتافيرس" إلى شقين، الشق الأول: Meta الذي يعني ما وراء أو أبعد، والشق الثاني: Verseوهو مصاغ من الكون، ومنه يمكن القول أن مصطلح "الميتافيرس" يعني: "ما وراء الكون" أو "أبعد من الكون" وهو بالتالي يتحدث عن عالم ما وراء الطبيعة أو عالم الماورائيات، كما يستخدم المصطلح لوصف الإصدارات المستقبلية للانترنت المكون من مساحة ثلاثية الأبعاد ثابتة ومرتبطة بكون افتراضي مدرك.

وفي السياق ذاته أشار[5] Marr إلى أن "ميتافيرس" هو تتويج لمحاولات الخيال العلمي التي جسدتها أفلام الخيال العلمي مثل فيلم Ready Player One الصادر سنة 2018 والذي يتحدث عن أحداث تقع سنة 2045 حيث تستخدم معظم البشرية برنامج الواقع الافتراضي للهروب من كآبة العالم الحقيقي، وفيلم Summer Wars الصادر سنة 2009 الذي تدور أحداثه حول عالم افتراضي يعيش فيه المستخدمون في مستويات أمن معلوماتي عالية ويمارسون أنشطتهم اليومية عبر الشبكة، ومن وجهة نظر[6] Gibbs

فإنه من الأفضل التفكير في "الميتافيرس" على أنه تقارب للتقنيات السابقة والتي ظهرت منذ عقود والتقنيات الآخذة في الظهور والتي استعرضها الباحث محمد قيس عادل القنبري[7] كما هو مبين في الشكل التالي:

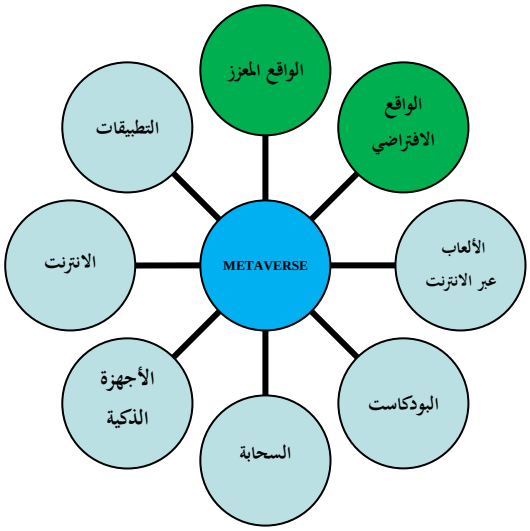

الشكل 1: بعض التقنيات التي يشملها مصطلح Metaverse

المصدر: محمد قيس عادل القنبري، المراجعة الداخلية في عالم ميتافيرس ص 6

ويؤكد محمد قيس عادل القنبري أن "الميتافيرس" هو مصطلح جامع لمجموعة من التقنيات الحديثة والقديمة، يأتي في مقدمتها تقنية الواقع الافتراضي التي تعتبر التقنية الأبرز في تشكيل فكرة هذا العالم وتقنية الواقع المعزز التي تستخدم أجهزتها للدخول إلى عالم "الميتافيرس" بمعنى أنه على من يريد الدخول إلى هذا العالم ارتداء أجهزة الواقع الافتراضي أو أجهزة الواقع المعزز[8].

II. تحديات الميتافيرس:

يطرح "الميتافيرس" برسمه مجالا جديدا ينشط فيه المستخدمون ومختلف الفاعلين العديد من التحديات نذكر منها:

– إمكانية الحد من المنافسة، فقد تتمكن منصة أو اثنتان من منصات "الميتافيرس" (**Microsoft** و**Meta** ...) من إملاء شروطها على السوق، وأين يكون من الضروري للبيع على هذه المنصات قبول شروطها التعاقدية غير المتوازنة (شطب القوائم، ارتفاع الرسوم، الاستخدام الإجباري لعملة مشفرة مخزنة في شركة تابعة...الخ)، بذلك فإن الخطر يكمن في تحكم حفنة من المنصات في قانون التجارة عبر هذا العالم الجديد. وقد أشارت الأبحاث منذ مدة إلى وجود بنود غير متوازنة إلى حد كبير حتى قبل "الميتافيرس" ما يعزز الرؤية في فرض العقوبات على إساءة استخدام المركز المهيمن للشركات المالكة والناشطة لهذه التقنيات (9).

– حماية البيانات الشخصية للأفراد وخصوصيتهم، فمن خلال الشراء على منصات الواقع الافتراضي، سيتم توجيه الأفراد إلى تقديم المزيد من البيانات الشخصية من نوع جديد إلى البائعين ومروجي الخدمات، حيث إن اكتشاف تعابير الوجه وإنشاء صور رمزية تعيد إنتاج

السمات البشرية بأقصى مستوى للدقة، وهي أمثلة لما يمكن أن تكون عليه تجربة التسوق في مراكز التسوق الافتراضية في المستقبل، وما يمكن أن تشكله من تبعات على المستخدمين أمنيا، صحيا وحقوقيا، وما يثير مخاوف المتشككين في "الميتافيرس" أكثر هو أن هذه التقنية ستوجه الضربة القاضية للخصوصية لأن بياناتها "بيومترية"، وستسجل جميع تحركات المستخدمين وخصائصهم الشخصية والسلوكية، الأمر الذي يرجح استغلالها من قبل أطراف عديدة ولدواعي متعددة بصفة أكبر مما هي عليه حتى الآن.

– موضوع آخر للتفكير (المستخدم–المستهلك) هو بطبيعة الحال فاعل أساسي عبر "الميتافيرس"، وعندما يتفاعل على سبيل المثال عبر صورته الرمزية **Avatar** مع مستخدم آخر، هل يمكن لهذه الصورة الرمزية التي تشكل امتدادا لشخصه أن تمتلك حقوقا وهل تلتزم بمسؤوليتها الخاصة؟

– مسألة أخرى ليست أقل أهمية وتتعلق بحماية حقوق الملكية الفكرية، حق المؤلف بالطبع، ولكن أيضا قانون التصميم والنموذج، وقانون العلامات التجارية، ويجب على البائعين الذين سيقدمون منتجاتهم في هذا العالم الجديد الحرص على الحصول على جميع الحقوق اللازمة للبضائع المعاد إنتاجها في هذا العالم الجديد، لذلك يجب مراجعة عقود التنازل مع فرق التصميم وتعديلها إذا لزم الأمر، كما يجب مراجعة القوانين التي تحكم التعاملات الرقمية وفقا لخصوصية هذا الفضاء الجديد وحماية حقوق الأفراد داخله.

– كما يحذر أخصائيو السلوكيات من تداعيات الممارسات السلبية المشار إليها في "الميتافيرس"، وكونها أكثر خطورة من تلك التي تنفذ عبر الإنترنت، لأن الواقع الافتراضي يغرق الناس في بيئة رقمية شاملة حيث يمكن جعل اللمسات غير المرغوب فيها في العالم الرقمي تبدو حقيقية، وتعزّز التجربة الحسية.

– إن إمكانيات التزييف العميق وصناعة البروباغندا التي أتاحتها الأنترنت وانتشرت عبر المنصات الاجتماعية تبدو أعمق ودون حدود في خضم "الميتافيرس" فما تتيحه التكنولوجيات الذكية من إمكانيات صناعة عوالم وصور رمزية غير محدودة يدفع إلى استشراف تحدي "الحقيقي والواقعي" في مقابل الافتراضي الذي يمكن أن يكون زائفا وموجها، كما يطرح "الميتافيرس" إشكالية حدود الدولة ومسؤوليتها ضمن هذا العالم مقابل سلطة شركات التكنولوجيا التي تتحكم في أبعاده ومحتواه.

– إعلام الميتافيرس: وهنا نتحدث عن صناعة إعلام عبر أدوات وحلول افتراضية فقط كما تصنعها حاليا بعض أدوات الذكاء الاصطناعي المادية منها وغير المادية، وعلى رأسها ما أعلنته فيسبوك من صناعة "ميتافيرس"، فإعلام الميتافيرس هو عبارة عن صناعة المحتوى الخبري أو الترويجي معتمدة على بيئة افتراضية ثلاثية الأبعاد، تضم جمهور محدد ومختلط ما بين الافتراضي والحقيقي، وتنقبل رسائل تفاعلية بين الجمهور نفسه أو الجمهور وصناع المحتوى في وقت يحدده المتلقي وفي بيئة يصنعها المرسل والمتلقي سويا.[10]

وعند الحديث عن" إعلام الميتافيرس" كمصطلح يشير إلى صناعة مساحات افتراضية لصناعة ونقل محتوى إعلامي أو ترويجي أو فعاليات وأحداث افتراضية بين جمهور نوعي دون تقيد بمكان وعبر أدوات وحلول الواقع الافتراضي أو المعزز، ويمكن القول أن "صناعة ميتافيرس" أو" إعلام ميتافيرس" جاء كنتيجة طبيعية لما شهده العالم من خسائر كبيرة في قطاع الإعلام والترفيه نتيجة لجائحة كوفيد–

19، الأمر الذي دفع العديد من عمالقة التكنولوجيا والإعلام في العالم للبحث عن سبل أكثر فاعلية، وأكثر وصولا للجمهور، دون التواصل المباشر بين البشر، مما دفع فيسبوك لتوفير حزمة مالية ضخمة للاستثمار في عالم "ميتافيرس"، كبديل أكثر تفاعلية وقدرة على نشر المحتوى عالميا.

فصناعة المحتوى التفاعلي الافتراضي ليست بجديدة على العالم: فهناك محاولات سابقة من Netflix المثيرة للفضول، من حيث إنشاء حلقات من اختيار المشاهد للمغامرة وصناعة تفضيلاته، إلى محاولة HBO الأكثر تفصيلا للمحتوى غير الخطي باستخدام Mosaic حيث جرب العديد من صانعي المحتوى تنسيقات جديدة لتعزيز تفاعل المشاهدين. ومع ذلك، كانت تلك المحاولات تفتقر إلى تعزيز المحتوى التفاعلي الكامل الذي يمكن أن تقدمه تجربة تفاعلية ثلاثية الأبعاد .اليوم، غالبا ما تنتج ألعاب الفيديو بعضًا من الروايات الخيالية الأكثر إثارة للاهتمام التي يجب أن تقدمها صناعة الترفيه، وسيؤدي نمو عالم ميتافيرس إلى جعل ذلك أكثر وضوحا، مما يجبر صانعي المحتوى على مواجهة قوة سرد القصص الغامرة.[11]

من جهة أخرى يطرح عالم "الميتافيرس" إشكاليات اجتماعية، حقوقية، أمنية، سياسية واقتصادية مختلفة، غير أن ما يهمنا في متن هذه الورقة البحثية هو جانب الحريات والحقوق بالنسبة للفرد، ومنه لنا أن نسأل مرة أخرى: هل يمثل الميتافيرس فضاءا أكثر حرية وتعبيرا للأفراد؟ وهل يُمكِن المستخدمين من التمتع بحقوقهم المكتسبة؟ أم يشكل هيمنة جديدة لمالكي التقنية والفاعلين عبرها ويكرس اتساعا للهوة والفجوة الموجودة أصلا بين من يملك هذه التقنية ومن يستخدمها؟ لكن قبل استشراف ما يمكن أن يواجه الحقوق والحرية في عالم "الميتافيرس" علينا أن نقدم صورة عما هو واقع عبر الانترنت ومنصات التواصل الاجتماعي بشكل عام.

III. شبكات التواصل الاجتماعي والرقابة على المحتوى[12]:

إن الطبيعة المزدوجة لاستخدامات مواقع التواصل الاجتماعي تثير المطالب بشأن مراقبة المحتوى المنشور عليها والأنشطة المتداولة عبر حساباتها، وفي الوقت ذاته تثير المخاوف بشأن انحراف تلك المراقبة إلى استهداف حرية الرأي والتنوع السياسي وممارسة التمييز وانتهاك الخصوصية، لا سيما وأن جزءا كبيرا مما يتم تداوله عبر تلك الشبكات لا يدخل في نطاق المحتوى العام، وإنما يتضمن مراسلات خاصة وبيانات شخصية وأنشطة تصفح وبيانات جغرافية، وغيرها من المعلومات التي لا تدخل في نطاق تعريف "الفضاء العام"، وتستلزم مراقبتها موافقات قضائية مسبقة.

وعلى الرغم من تبرير المراقبة الحكومية لوسائل التواصل باعتبارها تدخل في حيز اختصاصات الأجهزة الأمنية من حيث اضطلاعها بحماية الأمن العام، إلا أن هناك عدة إشكاليات تعترض ذلك الدور، أهمها اعتبارات الخصوصية، كما سبق التوضيح، والتي تنقل أعمال المراقبة من نطاق الرصد والتحليل إلى نطاق التجسس والتعقب حال ممارسته دون إعمال الضوابط القانونية، وينقلنا ذلك لإشكالية أخرى تتصل بتعريف المصلحة العامة ومتطلبات الأمن القومي وغيرها من المتطلبات التي يتم استخدامها لتسويغ أعمال الرصد والمراقبة، والتي لا خلاف على أهميتها، إنما الخلاف يتبادر إلى تعريفها وتأطير حدودها.

ويزيد من تلك الإشكاليات الحداثة النسبية لاستخدام تلك الوسائل في بعض المجتمعات، وتخلف الأطر القانونية بشأنها، وعدم وضوح مفاهيمها، خاصة مع التطور السريع لتقنياتها وأدواتها، هذا بالإضافة إلى الطبيعة العابرة للحدود لتلك الخدمات، وما يثيره ذلك من إشكاليات متنوعة، بل إن امتلاك شركات تقع في دول أخرى لهذا الكم من البيانات والمعلومات حول مواطني الدولة يثير مخاطر أمنية كبيرة في حد ذاته تتعلق بالأمن القومي.

كل تلك الاعتبارات تضع الحريات عبر مواقع التواصل الاجتماعي على المحك، وتخضع مبادئ الديمقراطيات العالمية لاختبار حقيقي، خاصة في ظل الفضائح والتجاوزات التي يتم الكشف عنها من وقت لآخر، وتورط إدارات مواقع التواصل نفسها فيها، بل وإقدامها على إقرار أدوات للمراقبة تتلاءم مع سياسات دول قمعية من أجل الوصول لأسواق جديدة وتحقيق أرباح اقتصادية، بما يتجاوز حدود "الصورة الوردية" التي ترسمها لدورها في تحرير الشعوب ودعم قيم الحوار العالمي ومرافقة الفرد في بحثه عن الحقيقة في كل ما يحيط به.

وما بين مخاوف القمع وهواجس التهديدات الأمنية، تبدو مراقبة محتوى وسائل التواصل الاجتماعي أمرا بديهيا، بل وضرورة واجبة لا يمكن إنكارها، إلا أنه يتحتم أن تتم في إطار تعريف دقيق يضعها في نطاق الرصد والتحليل الخاضع للرقابة والمساءلة والمكاشفة، ويحول دون انحرافها لممارسات تمييزية أو تجسسية بما يحقق التوازن بين حرية استخدام مواقع التواصل الاجتماعي والحد من مخاطرها، غير أن هذه النقطة وإلى اليوم تبقى جدلية حقوقية وقانونية فحتى في خضم ما تم تداوله من أخبار مغلوطة خلال انتشار جائحة كورونا (كوفيد-19) بقي الجدل قائما حول حرية نشر المعلومات في مقابل مراقبة المحتوى وحذفه لدواعي مكافحة انتشار الأخبار الكاذبة وحدود السيطرة على هذا المحتوى دون المساس بالحقوق الأساسية للأفراد.

على أن تحقيق هذا التوازن لا يمكن أن يتم بالاعتماد على نزاهة الأجهزة التنفيذية، والتزامها الذاتي بالقواعد القانونية والدستورية، وإنما يستدعي بناء منظومة متكاملة تجمع بين وضع قوانين ترسخ القواعد الدستورية الكافلة لحقوق الأفراد وحماية خصوصياتهم وترشيد الأداء الأمني، وتفعيل أدوات الرقابة والمساءلة البرلمانية من ناحية، والإشراف القضائي من ناحية أخرى.

يتوازى مع ذلك إتاحة الفرصة أمام منظمات المجتمع المدني والإعلام برصد المخالفات وإدارة النقاش العام بشأنها، وصولا إلى منظومة متوازنة قوامها الشفافية وإنفاذ القانون وممارسة الضغوط المتبادلة، وهو ما تشوبه التجاوزات حتى في أعظم ديمقراطيات العالم، إلا أن الكشف عن تلك التجاوزات وإعمال قواعد المحاسبة بشأنها، يظل رهنا بتفعيل أدوار القوى الفاعلة لحماية إحدى أهم أدوات الديمقراطية التشاركية.

IV. إزدواجية منصات التواصل الاجتماعي في التعاملات مع المحتوى:

ينتفع فيسبوك بحماية القانون الأمريكي **Cloud Act**، هذا القانون يخول لكل الشركات من جنسية أمريكية أن تعالج المعطيات الشخصية لمواطنين غير أمريكيين مهما كان موقعهم في العالم وتخزينها لديها ولو خارج التراب الأمريكي، كما يخول هذا القانون

للمؤسسات الحكومية الأمريكية الولوج إليها دون إعلام الأشخاص المعنيين... وبذلك يعتبر فقدانا للسيادة الوطنية، وهو ما يحصل بالضبط في حالة فلسطين في مواجهة الكيان المحتل.

ففي قضية "كامبريدج أناليتيكا" أخذت المعطيات من فيسبوك عن أشخاص دون علمهم واستثمرتها في مسارات محددة سلفا... وقد عوقب الفيسبوك من طرف 35 دولة في العالم ... غير أنه لا يستطيع أحد ثنيه عن هذا الاستغلال للمعطيات الشخصية، هذا التحدي الأمني الحقوقي الذي يمس بسيادة الدول وأمن مواطنيها شجع المستثمرين في مجال التكنولوجيا على إحداث محركات بحث خاصة بها مثل الصين وكوريا واليابان التي سعت إلى الاستقلالية التكنولوجية وحماية أمنها المعلوماتي القومي وبيانات مواطنيها.

يتعامل فيسبوك مع حكومة الكيان المحتل وهي تمده بقوائم يتم التفاعل معها إيجابيا فيكون الحجب، وهناك منظمات في بريطانيا أثبتت أنه خلال سنة 2016 تم حجب 90% من المواقع ضد الكيان المحتل، في المقابل لا نجد المستوى نفسه في التعامل مع المحتوى المحرّض على العنف والإرهاب في جانب الكيان المحتل، وهو ما سجلته أيضا تقارير حقوقية مثل تقارير **Access Now**، فالقضية ليس فقط ازدواجية في التعامل بل قضية التحرر من هيمنة هذه المنصات على التفكير[13].

إن مسألة الحجب ليست جديدة في السياسة العامة للفيسبوك، ففي حالة الصراع الفلسطيني ضد الكيان المحتل يمارس الكيان المحتل القتل والقمع دون أن يترك الفرصة لشجب هذا السلوك، فبمجرد كتابة عبارة "فلسطين محتلة" أو "قسّام" يتم حجب المحتوى... يعني ذلك انحراف كبير في حرية التعبير في الفضاء الافتراضي وتقديم الحقيقة ولو من باب وجهة النظر أو الرأي الآخر، لقد بدأت إدارة الكيان المحتل التعامل مع الفيسبوك منذ سنة 2013 حينما تأسس مكتب فيسبوك في (تل أبيب) وبدأت لقاءات مع إدارة الكيان المحتل والمسؤولين عن مراقبة الفضاء الإلكتروني في إدارة الكيان المحتل وكانت تدعو الفيسبوك إلى مواجهة الصفحات التي تدعو إلى مقاطعة بضائع الكيان المحتل بدعوى مقاومة الإرهاب.

هناك العديد من مؤشرات الازدواجية التي ترصد يوميا في تعامل فيسبوك وتويتر والانستغرام والتي تتعلق أساسا بحجب كل ما يساند القضية الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني، فما يكتب مساندة لفلسطين يمنع بطريقة ما ويصبح غير مرئي عن طريق الخوارزميات ثم يحذر من الحجب، ويقوم بالعقاب لمدة معينة وصولا إلى فسخ الحساب كليا.

V. نموذج الحرب الروسية الأوكرانية:

ترافقت العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، بتصاعد نشر المعلومات المضللة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، والتي تنوعت بين الفيديوهات المفبركة، والروايات المزيفة، وتضليل الوقائع، وتزامن ذلك التصعيد مع حملة إعلامية غربية غير مسبوقة ضد روسيا، سعت إلى شيطنتها، وتعبئة الرأي العام ضدها.

وتضمنت الكثير من الفيديوهات والمنشورات والتقارير التي اجتاحت المنصات الاجتماعية معلومات غير صحيحة، الغرض منها إظهار الوجه السيء لروسيا، وتصويرها على أنها لا تكترث بحياة المدنيين، وتواصل قصفها الوحشي المدمر، من أجل توجيه الرأي العام

لصالح أوكرانيا، وردا على هذه الحملات، وجهت الهيئة المنظمة للاتصالات في روسيا، خطابات لمؤسسات إعلامية ومنصات اجتماعية، واتهمتها بنشر معلومات غير صحيحة عن أحداث أوكرانيا.

وهددت روسيا بحظر منصة "**Youtube**" كما فعلت مع "**Instagram**"، في حال عدم استجابة "**Google**" لمطلبها برفع الحظر المفروض على قنوات الإذاعة والتلفزة الروسية على منصتها، وبات الوصول إلى تطبيق "**Instagram**" الذي تملكه شركة "**Meta**" الأميركية متعذرا في روسيا التي تتهمه بنشر دعوات إلى العنف ضد الروس على خلفية النزاع في أوكرانيا.

وفي مطلع شهر مارس الفارط، قالت الهيئة المسؤولة عن تنظيم الاتصالات في روسيا، إنها حجبت "فيسبوك" ردا على ما قالت إنها قيود على الدخول إلى وسائل الإعلام الروسية على منصته، وتتهم روسيا منصات التواصل الاجتماعي مثل "فيسبوك" و"تويتر"، بفرض رقابة توصف بالمشددة على المحتوى الذي يروج وجهة النظر الروسية، أو الأفكار المناوئة للغرب فيما يتعلق بالحرب الروسية الأوكرانية.

جسّد تعامل المنصات الاجتماعية مع الأزمة الأوكرانية، ازدواجية المعايير لدى هذه المواقع، والتي أوجدت روسيا بدائل لها مثل "**vkontakte**"، تأكيدا منها على رفضها الخضوع للهيمنة الأميركية على فضاء الإنترنت حيث لا يمكن إنكار دور "التضليل" على وسائل التواصل باعتباره جزء في أي صراع، إذ أنه يرمي لخلق حالة نفسية موجهة لرواد هذه المنصات، الأمر الذي يفسر الاستعانة حتى بألعاب الفيديو ومقاطع أفلام والمسلسلات ودمجها بلقطات حقيقية، بحيث تتولد مشاهد باستطاعتها محاكاة الخيال المؤثر على الجمهور وبالأخص فئة الشباب.

وردا على الدور المضلل لوسائل التواصل الاجتماعي، سلطت تقارير ومبادرات الضوء على هذه الظاهرة، فمثلا افتتح تقرير لوكالة "**Associated Press**" الموضوع بعبارة جاء فيها: "تفوق الرسائل والفيديوهات والصور التي يتم تبادلها عبر فيسبوك وتويتر وتلغرام، أعداد الضربات الجوية التي طالت أوكرانيا"، وأكد التقرير أن "شاشة الهاتف الذكي الصغيرة تمثل أداة الاتصال المهيمنة في هذا النزاع، وهي تحمل في طياتها خطر الانتشار الفوري للمعلومات المضللة الخطيرة، التي تربك الملايين بشأن تطور الأحداث"، ونشرت صحيفة "**The Washington Post**" بدورها مقالا بعنوان "وسائل التواصل تغذي ضباب الحرب في الصراع الأوكراني"، أشارت فيه إلى "تسهيل منصات عديدة متابعة تطورات الحرب، إلا أن المشكلة تكمن بكونها عرضة للمعلومات المضللة".

دائما ما تقول شركة فيسبوك أن سياساتها مناهضة للعنف ونبذ الكراهية والعنصرية ضد أي شخص في العالم وأنها تتخذ موقف الحياد ولا تتدخل في الشؤون السياسية لأي دولة، وأن تطبيقاتها سواء كان فيسبوك أو انستجرام أو غيرهم التابعين للشركة الأم "**Meta**"، هم تطبيقات حيادية وللترفيه ولا تخضع لأي سياسات خارجية وتحذف أي منشور عنصري أو عنيف من منصاتها، ولكن مع اندلا ع الحرب الروسية الأوكرانية انكشفت حقيقة شركة **Meta** والتطبيقات التابعة لها من فيسبوك وانستجرام وغيرهم، حيث تدعو الشركة الآن لتبني سياسات مضادة للنظام الروسي وللرئيس فلاديمير بوتين على خلفية الحرب الروسية الأوكرانية، ولنا أن نتصور ما يمكن

أن يكون عليه الحال مع "الميتافيرس" بما يتميز به من خصائص تقنية وقدرات ذكية في خلق عالم افتراضي تصعب معه معرفة الحقيقة وتقيد حرية الأفراد في معرفتها، فالحقيقة هي ما يرسمه هذا العالم الجديد من أبعاد وفق ما يراه ويقدمه ملاك هذه التكنولوجيا الذكية.

VI. السماح بالعنف ضد روسيا:

أعلن فيسبوك أنه قرر استثناء الخطاب المناهض للحرب الروسية في أوكرانيا من قواعده المتعلقة بحظر أي محتوى على الموقع يدعو إلى العنف والبغض، مشيرا إلى أنه لن يحذف بالتالي المنشورات المعادية لجيش روسيا وقادتها، وقال **Andy Stone**، مسؤول الاتصالات في ميتا الشركة الأم لفيسبوك، في بيان، إنه "بسبب الهجوم الروسي على أوكرانيا، فقد سمحنا مؤقتا بأشكال من التعبير السياسي تنتهك في العادة قواعدنا المتعلقة بالخطاب العنيف"، مضيفا أن فيسبوك لن يسمح بالمقابل بأي دعوات ذات مصداقية للعنف ضد المدنيين الروس.

VII. حجب الإعلانات الروسية من فيسبوك:

كما قررت شركة فيسبوك حجب الإعلانات القادمة من روسيا على مستوى العالم، حيث جاء ذلك وفقا لما أعلنته مجموعة ميتا المالكة لشركة فيسبوك، وذكرت ميتا أن نظام الإعلان في روسيا تم إيقافه بالكامل، وهو ما يعني أن المعلنين الروس لن يمكنهم وضع إعلاناتهم في روسيا فحسب، بل على الصعيد العالمي أيضا.

VIII. إزالة المواقع الروسية من اليوتيوب:

وليست شركة ميتا فقط هي من تبنّت سياسة الازدواجية في المعايير والمبادئ، بل أيضا شركة يوتيوب وتويتر، حيث أعلن موقع يوتيوب عن وقف بث قناتي "**RT**" و"**Sputnik**" الروسيتين في أرجاء أوروبا نظرا إلى الحرب الروسية الأوكرانية، وقالت منصة الفيديو :"نحجب قناتي **RT** و**Sputnik** عبر يوتيوب في كل أرجاء أوروبا مع مفعول فوري، وتتطلب أنظمتنا بعض الوقت قبل أن تفعّل كلياً، وتستمر فرقنا بمراقبة الوضع على مدى الساعة للتحرك بأسرع ما يمكن"، وقالت شركة "**Meta**"، إنها ستقيد الوصول في الاتحاد الأوروبي إلى "**RT**" و"**Sputnik** "، المتهمتين من قبل دول غربية بأنهما بوقان للكرملين، وتعملان كمنصتين للدفاع عن الحرب.

– تحذيرات من تويتر:

كما أعلن موقع تويتر أنه سيضع تحذيرات على التغريدات التي تنشر روابط لوسائل إعلام روسية تابعة للدولة، وقال رئيس سلامة موقع تويتر، **Yoel Roth**، إن المنصة تشهد أكثر من 45 ألف تغريده يوميا تشارك روابط تقود إلى منافذ إعلامية مرتبطة بالإعلام الرسمي الروسي، وأضاف أنه يجب أن يسهل منتجنا فهم من يقف وراء المحتوى الذي تراه، وما دوافعه ونياته، وتابع: "بالإضافة إلى وضع إشعارات تحدد مصادر الروابط، فإن المنصة تتخذ خطوات للحد بشكل كبير من تداول هذا المحتوى على تويتر".

IX. حجب فيسبوك من روسيا:

وعلى الجانب الآخر، لم تقف روسيا مكتوفة الأيدي وسط هذه التصريحات العدائية تجاهها من شركة **Meta** والتحريض المباشر على العنف ضد الجيش والنظام الروسي، فقد أعلنت موسكو حجب موقع فيسبوك في كل أنحاء الدولة الروسية ومنع استخدامه في البلاد، حيث قررت الخدمة الفيدرالية الروسية للرقابة على الاتصالات وتقنية المعلومات والإعلام، حجب شبكة فيسبوك في روسيا بشكل كامل، في خطوة للرد على حظر **Meta** حسابات **RT** و"**Sputnik** " في أوروبا.

X. عدم استخدام تويتر في روسيا:

وقامت السلطات الروسية أيضا بحظر موقع التواصل الاجتماعي تويتر، حيث أعلنت الخدمة الفيدرالية للإشراف على الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات في روسيا "**Roskomnadzor**" البدء بحجب تويتر في روسيا.

وأوضحت الهيئة، أن القيود المذكورة على فيسبوك وتويتر محظورة بموجب القانون الاتحادي رقم "272"**FZ–**بشأن تدابير التأثير على الأشخاص المتورطين في انتهاكات حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وحقوق وحريات مواطني الاتحاد الروسي، الذي تم اعتماده، من بين أمور أخرى، لمنع انتهاكات المبادئ الأساسية للتدفق الحر للمعلومات والوصول دون عوائق للمستخدمين الروس إلى وسائل الإعلام الروسية على منصات الإنترنت الأجنبية.

XI. غلق الانستجرام في روسيا:

وطالت العقوبات المفروضة على فيسبوك وتويتر تطبيق انستجرام أيضا، حيث قالت وكالة مراقبة وسائل الإعلام الحكومية الروسية إنه سيتم حظر موقع انستجرام في البلاد بسبب دعوات للعنف ضد الجنود الروس.

بهذا يبدو جليا أن كبرى شركات التكنولوجيا والمنصات الاجتماعية تمارس اليوم سلطة هائلة على المستخدمين، والتي تنمو مع قيامها بجمع المزيد من البيانات عن المستخدمين، ويمكن أن يؤدي "ميتافيرس" إلى تضخيم هذه القوة، قال **Tim Sweeney**، مؤسس **Epic Games** إن "ميتافيرس يمكن أن يصبح كابوسا بائسا إذا تم التحكم فيه من قبل عدد صغير من الشركات"،

وأضاف: "بينما نبني هذه المنصات نحو ميتافيرس، إذا تم إغلاق هذه المنصات والتحكم فيها من قبل هذه الشركات فستكون لها قوة أكبر بكثير على حياتنا، وبياناتنا الخاصة، وتفاعلاتنا الخاصة مع أشخاص آخرين غير أي نظام أساسي في التاريخ السابق". [14]

وحذر خبراء أمن المعلومات من أنه ستكون هناك جرائم جديدة ناتجة عن استخدام "الميتافيرس"، وسيصعب إيجاد رقابة عليها، ولن تجدى سياسة حجبه، بما يتطلب توافر طرق لمواجهته من الآن في مجالات جمع الاستدلالات والتحقيق والقضاء قبل أن تفقد السيطرة على أخطاره المتعددة، وذلك من خلال هيئات جديدة لمواجهة التحديات الأمنية نتيجة لتغير الأوضاع، وكذلك مؤسسات متخصصة تضم خبراء ومتخصصين على دراية تامة بالتحديات الجديدة.

الخلاصة:

في عصر التكنولوجيات الذكية والمنصات الاجتماعية والمشهديات السائلة، حيث يسود التطور العلمي والتقنيات الفائقة الفاعلية، يعاني الأفراد من ازدواجية الحياة الواقعية والأخرى الافتراضية بما تحفلان بهما من تفاصيل كثيرة، ومن خطابات تفرضها طبيعة الوسائط المتطورة باستمرار وبسرعة يصعب على الكثيرين مسايرتها ويبدو هذا التحدي أكبر مع عالم الميتافيرس الذي تختفي فيه حدود العالمين الحقيقي والافتراضي.

صحيح أن منصات التواصل الاجتماعي لم تغير من واقع الأفراد الشيء الكثير، ولم تعدل في التكوين الثقافي للناشطين عبرها خصوصا أنه تبدو في بعض الأوقات تنتج الانفصال بدل الاتصال، ولم تبدل الوضعيات الاجتماعية لعموم المواطنين، بل إن خطابها أوهم الكثيرين بالقرب واليسر وإمكانية التواصل فيما أنها أدت في الكثير من الأحيان إلى الإحباط خصوصا مع تفشي التزييف وانتشار الأخبار المغلوطة وتمييع الحقيقة وتقييد الحرية في الأداء والتلقي.

وبخلاف وسائل الاتصال الجماهيري في زمنٍ سابق، والتي تميزت بخطاب مركزي منقى، يوجهه الزعماء وقادة الرأي، بات الخطاب المتكون في فضاء التواصل الاجتماعي اليوم ملكا لعموم الناس – من دون مدح في المقام – إذ تميز بتعدد اتجاهات الإرسال، كما تميز بمضامينه ذات المنحى الشعبوي. فوسائل التواصل غيرت اتجاه الخطاب، فحرمت القادة من احتكارهم الإرسال من أعلى إلى أسفل، إذ بات اتجاه الخطاب من أسفل إلى أعلى، وجعلت المخاطبين قادرين على صناعة خطابات خاصة بهم انطلاقا من حيثيات واقعهم الشخصي، فقد يظن البعض أن مشهد وسائل التواصل هو مساحة حرية فيما هو مساحة فوضى وعبث لصالح أصحاب السيطرة العميقة التي لا تتيسر إلا للجهات المتمكنة بالعلم والتقنيات والسرديات الكبيرة، وما الميتافيرس إلا حلقة إبهار أكبر في اتجاه السيطرة على البيانات وتنميط الممارسات للتحكم بشكل أكبر ويبقى طموح بلوغ الحقيقة والحرية مقصدا صعب المنال رغم كل التطورات التكنولوجية التي لازال يشهدها العالم، فمن هيمنة الدول والحكومات ومن سلطة وسائل الاعلام الجماهيرية يرضخ العالم اليوم تحت سلطة المنصات الرقمية وشركات التكنولوجيا العملاقة التي تتحكم في المحتوى الرقمي واقتصادياته دون حدود واضحة لسلطة الدولة وحماية المستخدم بالتسويق لوهم الحرية والحقيقة بينما ترتسم هذه الحرية والحقيقة وفقا لما تريده تلك المنصات وقد بدا ذلك جليا من خلال الصراع الفلسطيني ضد

الكيان المحتل والحرب الروسية الأوكرانية الدائرة ما يستدعي مرة أخرى إعادة الحديث عن نظام إعلامي واتصالي عالمي جديد بعيد عن أحادية القطب وسيطرة المنصات وشركات التكنولوجيا.

الإحالات والمراجع:

1. محمد قيس عادل القنبري، المراجعة الداخلية في عالم ميتافيرس: بين آفاق الواقع الافتراضي وإمكانيات الواقع المعزز، ص 4 على الربط: https://www.researchgate.net/publication/357019136 تاريخ الزيارة: 2022/04/10 على الساعة: 20:20.

2. Zuckerberg, Mark. (2021). Founder's Letter : https://www.facebook.com/zuck/posts/10114026953010521

3. Neal Stephenson, Snow Crash, Bantam Books, US, June 1992.

4. Gibbs, Amy. (2021). 101: What on earth is the metaverse? : https://www.pwc.com.au/digitalpulse/101-metaverse.html

5. Marr, Bernard. (2021). What Is the Metaverse? An Easy Explanation for Anyone: https://bernardmarr.com/what-is-the-metaverse-aneasy-explanation-for-anyone/

6. محمد قيس عادل القنبري، مرجع سابق، ص 6.

7. محمد قيس عادل القنبري، مرجع سابق، ص 7.

8. Mariani, Joe & Sniderman, Brenna & Harr, Cary. (2021). More real than reality: Transforming work through augmented reality. Deloitte Review, issue 21: https://www2.deloitte.com/us/en/insights/deloittereview/issue-21/augmented-reality-at workplace.html

9. Houston, Ben. (2020). What Is Augmented Reality (AR)? A Practical Overview: https://www.threekit.com/blog/what-is-augmented-reality

10.محمد عبد الظاهر، إعلام الميتافيرس والتسويق الروبوتي وصحافة الجيل السابع، هل يمكن أن تساعد تقنيات Yعلام الميتافيرس في التسويق الروبوتي؟ ص ص، 9-11، https://www.researchgate.net/publication/357898353 تاريخ الزيارة: 2022/04/14 على الساعة: 20:20.

11. Richard Yao, How the Rise of Metaverses Will Impact the Entertainment Industry, IPG Media Lab, Dec 4, 2020.

12. فاطمة الزهراء عبد الفتاح، جدل عالمي: آليات وضوابط "مراقبة" مواقع التواصل الاجتماعي، على الرابط: https://futureuae.com/ar/Mainpage/Item/2515 تاريخ الزيارة: 2022/04/04 على الساعة: 20:15.

13. ماهير جعيدان، ازدواجية مواقع التواصل الاجتماعي.. عن فلسطين وسياسات الحجب، على الرابط: https://ultratunisia.ultrasawt.com تاريخ الزيارة: 2022/04/12 على الساعة: 20:15.

14. بعد أن صار اسمها ميتا بدلا من فيسبوك هل أصبحت بياناتنا في أمان، https://alkhaleejonline.net/